سلسلة هكذا تحدث الدعاة والعلماء

الشيخ /الحذيفي

إمام الحرم

طرق النجاة من النار

تعليق وإعداد

قسم الإعداد بدار الشريف

الكتاب	طرق النجاة من النار
المؤلف	قسم الإعداد
الناشر	دار الشريف للنشر والتوزيع
حقوق الطبع	محفوظة للناشر
الطبعة الأولى	٢٠٠٤
المطابع	شركة الجزيرة العالمية للطباعة الحديثة
رقم الإيداع لسلسلة هكذا تحدث الدعاة	٢٠٠٤/٥٨١٨
الترقيم الدولي	I.S.B.N:977-6054-03-x

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله وبعد :
فهـذا حـديـث إلى أخ لي حبيـب . قـد أراه في كـل صـــف من الصــفوف . قد أراه بين كل اثنين . . . أراه في كل مســلم رضي بالله ربا، وبمحمد، ﷺ نبيا ، وبالإسلام دينا . . .
أخ لي .. . . لم يســلم من أخطاء سـلوكية، وكلنا خطاء. . لم ينج من تقصير في العبادة وكلنا مقصر! ! . . ربما رأيته حليق اللحية، طويـل الثوب ، مـدمنا للتدخين ! ! . . بل ربما أسر ذنوبا أخرى ونحن المذنبون أبناء المذنبين ! ! .
نعم ! أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثا أخصك به ، فهل تفتح لي أبواب قلبـك الطيـب ونوافـذ ذهنـك النير؟! ! . و الله الذي لا إله إلا هو إني لأحبك . . أحبك حبا يجعلني ... أشــعر بالزهو كلما رأيتك تمشي خطوة إلى الأمام ! ! . .
وأشعر والله بالحسرة إذا رأيتك تراوح مكانك أو تتقهر ورائك !!. أحـدثـك حديثا اســكب روحي في كلماته . وأمزق قلبي في عباراته . .
إنه أخي حديث القلب إلى القلب . حديث الـــــروح للأرواح يسري وتــدركــه الـقـلوب بلا عنـاء. هل تظن أن أخطاءنا أمر تفردنا به لم نسبق إليه ؟! . كلا. .. فما كنا في يوم ملائكـــة لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولكن نحن بشر معـــرضـــون للخطيئة، يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم . وكل من ترى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب

وخطايا. قال ابن مســـعود- رضي الله عنه- لأصـــحابه وقد تبعوه : "لو علمتم بـذنوبي لرجمتموني بالحجارة"، وقال حبيبك محمد، صلى الله عليه وسلم : "لـو لم تـذنبوا لـذهـب اللـه بكم ولجـاء بقوم يـذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم) والله أخي لقد أحرقتنا الذنوب ، والمتنـا المعـاصي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني ســـمعك يا رعاك الله ! ! . إن هذه الخطايا ماســـلمنا منها ولن نســـلم ، ولكن الخطر أن تسـمح للشـيطان أن يسـتثمر ذنبك ويرابي في خطيئتـك . أتـدري كيف ذلك ؟ ! ! . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب خندق يحاصرك فيه لا تســتطيع الخروج منه . . يلقي في روعـك أن هـذه الـذنوب تســـلبـك أهلية العمل للدين أو الاهتمام بـه . ولايزال يوحي إليـك : دع أمر الـدين والـدعوة لأصـحاب اللحى الطويلة! والثياب القصيرة! دع أمر الدين لهم فما أنت منهم ! ! .

وهكذا يضــخم هذا الوهم في نفســك حتى يشــعرك أنك فئة والمتدينون فئة أخرى. وهذه يا أخي حيلة إبليســـية ينبغي أن يكون عقلـك أكبر وأوعى من أن تمر عليـك . فـأنـت يـا أخي متـدين من المتدينين . . أنت تتعبد لله بأعظم عبادة تعبد بها بشرـــ للـه . أن تتعبـد لله بالتوحيد. أنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضـوء، وعظمت ربك بالركوع ، وخضـعت له بالســـجود. أنت صـــاحب الفم المعطر بذكر الله ودعائه ، والقلـب المنور بتعظيم اللـه وإجلالـه . فهنيئـا لـك توحيـدك وهنيئا لك إيمانك . إنك يا أخي صاحب قضية . . أنت أكبر من أن تكون قضيتك فريق كروي يكسب أو يخسر. . أنت أهم

من أن تدور همومك حول شريط غنائي أو ســـفرة للخارج . . أنت أهم من أن تدور همومك حول المتعة والأكل . فذلك كله ليس شـــأنـك ، إن ذلـك شـــأن غيرك ممن قال الله فيهم ﴿

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾

(محمد012)

أخي أنـت من يعيش لقضـــيـة أخطر وأكبر هي : هـذا الدين الذي تتعبد الله به. . . هذا الدين الذي هو سبب وجــودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكون (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون) ٠ (الـذاريـات إن أود أن أذكرك مرة أخرى أن تقصــيري لا إياك في طاعة ربنا أو خطئي وإياك في ســلوكنا لا يحللنـا أبـدا من هـذه المســئولية الكبرى ولا يعفينا من هذه القضـية الخطيرة انظر يا رعاك الله إلى هذين الموقفين : وأرجو أن تنظر إليهما نظرة فـاحصـــة . وأن تجعلهما تحـت مجهر بصـيرتك : واسـمع عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- - حيث وقع هذا الصـحابي في خطا كبير، وهو التخلف عن رسـول الله ﷺ . ولو ظللنـا نتكتـب عن ذلـك مـا وفينـا الأمر حقـه ولكن جعلنـا الحديث جامع بين ذلك وذاك فكانت الســلســة هكذا تحدث الـدعـاة الهـدف منهـا هو وضـــع الطريق لجيل التمكين حتى يتمكن الإيمـان من القلب فطوفنا على خطب العلماء وكتبناها وأضـفنا ما يمكن في باب مستقل حتى تعم الفائدة وجعلنا كل خطبة في رســالة وكانت هذه الرســالة موجهة لجيل التمكين وشـــبـاب الصـــحوة فجرا الله العلماء خير الجزاء ونفعنا الله بعلمهم وجزاهم عنا خير الجزاء ..

واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دار الشريف للنشر

خطبة الشيخ

علي عبدالرحمن الحذيفي

الجنة والنار

الخطبة الأولى

أمّا بَعد: فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ تقواه، وتمسَّكوا بها، فنِعمَ العملُ والذُّخر والفَوز في دنيا العبدِ وأخراه.

أيّها المسلمون، لقَد خلقَ الله الخَلقَ لتنفُذَ فيهم قدرتُه وتجرِيَ عليهم أحكامُه الشَّرعيّة والقدَريّة، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، خلَقَ الكونَ بالحقِّ ليُطاعَ الربُّ جلّ وعَلا ويُعمَر الكونُ بالصَّلاح والإصلاح، وجعَل الله للمكلَّفين مشيئةً واختِيارًا أناطَ به التّكليفَ، ولا يخرُج العبدُ بتلك المشيئةِ عن قدرةِ الله ومشيئتِه، فمَن وافقَ مرادَ الله المحبوبَ لَه وعمِل بالحقّ الذي لأجلِه خلَقَ الكونَ وأطاع ربَّه جَزاه الله الجزاءَ الحسَن في الدنيا وفي الآخرة كمَا قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، ومَن ضادَّ مُرادَ الله المحبوبَ له وعارَض شريعةَ الإسلام وعصَى ربَّه عاقبَه الله في الدنيا والآخرة، قال عزّ وجل: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٣، ١٢٤].

وأعمالُ العِباد مُحصاةٌ عليهم صَغيرُها وكبيرُها ليُجازَوا عليها كما قَال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]. فالجزاءُ الحَقِيقيّ الدّائمُ في الآخِرة، وأمّا في الدّنيا وإن كان فيها جَزاءٌ على الخير أو على الشرّ فإنّه جزاءٌ قليل وجزاء منقطِع، تتصرّم أيّامُه وتسرِعُ ساعاتُه حتّى إنّ عُمرَ الدنيا كلِّها يراه العُصاةُ مِقدارَ ساعةٍ من نهارٍ كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥]، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥]، ولكنَّ الجزاءَ الأبديَّ السّرمديّ الذي لا ينقطِع في الآخرةِ؛ إمّا دارُ نعيم وإمّا دار جحيم.

والجزاءُ بالجنّة على الأعمالِ الصالحة والعقابُ بالنار على الأعمالِ الشّرِّيرة في غايةِ المناسَبَة والمجانسة، فإنّ الجزاءَ من جِنس العمَل، فلمّا كانَت الأعمالُ الصّالحة تتنوّعُ في حقائقِها ومنافِعِها كان نعيمُ الجنّة منوَّعًا في حقائقِه ومنافِعه وطُعومِه ولذّاتِه، ولما عَبَد أهلُ الجنّةِ ربَّهم بالغَيب ولم يرَوه تجلَّى الله لهم، فأكرَمهم بلذَّة النظر إلى وجهِه الكريم، وأسمَعهم جلالَ كلامِه العظيم، ولمّا علِم الله مِنهم العَزمَ والتَّصمِيم والإرادةَ الجَازِمة على دَوام عبادةِ الله وطَاعتِه أدامَ الله عليهم النّعيمَ المقيمَ كما قالَ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف:١٠٧، ١٠٨]. ولما كانَت الأعمالُ الشرِّيرة تتنوَّع في حقائِقها المُرَّة ومَضارّها وخُبثِها وشُرورِها كانَ عذابُ النار منوَّعًا في شِدَّتِه وألمِه ومَرارتِه بحسَب الأعمال، ولما حجَبوا قلوبَهم عنِ الهدَى والإيمانِ احتجَب

الله عنهم فلا يرَونَه كما قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، ولما علِم الله أنّ أهلَ النّار دائمو العَزمِ والإرادة على الكفرِ والمعاصي وأنهم إن رُدّوا إلى الدنيا عَادوا إلى الكفرِ والعِصيان، لما علِم الله منهم ذلك أدامَ عليهم العذابَ الأليمَ، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧، ٢٨].

عبادَ الله، إنَّ أصفَى ساعاتِ المسلم وأفضلَها وأرقى درجاتِه أن يستوليَ على قلبه الطمَعُ في الجنةِ والخوفُ من النار، وقد كان السّلفُ الصالح رضي الله عنهم يغلِب على قلوبهم الخوفُ من النّار والطمعُ في الجنّة في كلِّ حالٍ من الأحوال، فصَلحت أعمَالهم واستقامَت لهم أمورهم.

هذا عبدُ الله بنُ رواحة رضي الله عنه يودِّع أصحابَه في غزوةِ مؤتَة فيبكِي ويقال له: ما يبكِيك؟ فقال: والله، ما أبكِي صَبابةً بِكم ولاَ جزَعًا على الدّنيا، ولكن ذكَرتُ قولَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، فكيف لي بالصَّدرِ بعد الورود؟!.

وعُمير بن الحمام رضي الله عنه لما قال النّبيّ ﷺ في غزوةِ بَدر: ((قوموا إلى جنّةٍ عرضُها السموات والأرض)) كان في يدِه تمراتٌ، فرمى بهنّ وقال: لئِن بقيتُ حتى آكلَ تمراتي هذه إنها لحياةٌ طَويلة، فقاتل حتى قُتِل رضي الله عنه.

وأنسُ بن النّضر رضي الله عنه قال: إني لأجِدُ ريحَ الجنّةِ مِن دونِ أُحُد، وذَلك في غَزوةِ أُحُد، فقُتِل رضي الله تعالى عنه.

والكلامُ عنهم في هذا يطول، ونحن بحاجةٍ إلى ذكر الجنة والنّار في قلوبِنا ونوادينا وفي ليلنا ونهارنا لتستقيمَ أحوالنا وتصلح أعمالُنا، ولا سيّما في هذا العصرِ الذي طغت فيه المادّة، وتظاهرت الفتَن وانتشرت، وقلَّ الناصحُ، وضعُف الإيمان، وتزيّنت الدنيا بزُخرفها وزهرَتها، وأثقلتِ الكواهلَ بكثرةِ مطالبها، وأرهقتِ الأعصابَ بتشعُّب حاجاتها، حتى صار التحابُّ من أجلِها والتباغُض من أجلها والتواصُلُ لها والتقاطُع لها إلا من شاء الله تعالى، فكانت أكبرَ ما يصُدُّ عن الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧، ٨].

الطّمَع في الجنّة قائِد، والخَوفُ من النّار زاجِرٌ وسائق. الجنّة حُقَّ أن يطلبَها المسلمُ جُهدَه، ففيها ما لا عينٌ رأَت ولا أذُنٌ سمعَت ولا خطَر على قَلبِ بَشَر، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: ((ألا هَل مشمِّرٌ للجنة، فإنّ الجنةَ لا خَطَر لها، هي ـ ورَبُّ الكعبةِ ـ نورٌ يتلألأ وريحانَة تهتزّ وقَصرٌ مَشيد ونهر مُطَّرِد وثمرةٌ نضيجَة وزوجةٌ حسناء جميلة وحُلَلٌ كثيرة ومَقامٌ في أبَد في دارٍ سليمَة وفَاكهةٍ وخُضرة وحَبرة ونِعمَة في محَلَّةٍ عالية بهيَّة))، قالوا: نعَم يا رسولَ الله، نحن المشمِّرون لها، قال: ((قولوا: إن شاءَ الله))، فقال القوم: إن شاء الله. رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بِناءُ الجنة لبنةُ ذهَب ولبنَة فِضّة، وملاطُها المِسك ـ وهو ما يكون بين اللَّبِن ـ وحصباؤُها اللّؤلؤ والياقوت، وترابُها الزّعفران، ومَن يدخُلها ينعَم ولا يبأس، ويخلُد ولا يموت، ولا تبلَى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه)).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺقال: ((إنّ للمؤمنِ في الجنّةِ لخيمةً مِن لؤلؤةٍ واحِدة مجوّفة، طُولُها في السّماءِ سِتّون ميلاً، للمؤمِن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمِن، فلا يَرى بعضُهم بعضًا)) رواه البخاري ومسلم.

وأمّا شرابُهم فكما قال الربُّ جل وعلا: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رَسول الله ﷺفي أزواجِ أهلِ الجنّة: ((يضَع أحدُهم يدَه بَين كتفَيها، ثم ينظُر إلى يده من صدرِها من وراءِ ثِيابها وجِلدِها ولحمِها، وإنّه لينظُر إلى مُخِّ ساقِها كمَا ينظُر أحدكم إلى السِّلك في قصَبةِ الياقوت، كبِدُه مرآةٌ لها، وكبدُها مِرآة له)) رواه أبو يعلى والبيهقي.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه يرفعه: ((إنّ أسفلَ أهل الجنّةِ أجمعينَ مَن يكون على رأسِه عشرةُ آلاف خادِم، معَ كلِّ خادمٍ صحفتان: واحدةٌ من ذهَب وواحدةٌ من فضّة، في كلّ صَحفةٍ لونٌ ليس في الأخرى مثلُها، يأكل من آخرِه كما يأكل من أوَّله، يجِد لآخرِه من اللذَّة والطّعم ما لا يجِد لأوّلِه، ثم يَكونُ فوقَ ذلك رشحُ مِسكٍ وجُشاء مِسك، لا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يمتخِطون)) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا.

وقد وصَف الله تعالى ما في الجنّةِ من النعيمِ المقيم في كتابِه بما لم يُوصَف في كتابٍ منزَّل، ووصف ذلك رسولُ الله ﷺ بما لم يصِفه نبيّ؛ لنعمَلَ بأعمالِ أهلِ الجنّة ولنسارعَ إلى الخيرات ونطلبَ جنةَ ربِّنا جُهدَنا ونَسأل ذلك من ربِّنا ونتعرَّض لرحمته، فإنّه لن يدخلَ الجنّة أحدٌ إلا برحمة الله.

وأعظمُ مِن نعيم الجنة رضوانُ ربِّ العالمين والنّظرُ إلى وجهِهِ الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

وأمّا النّار وما أدرَاك ما النّار فهي مثوَى الأشرارِ ومكانُ الخُبث والذِلّة والخزيِ والصّغار، بعيدةُ القَعر، لو أنّ الحَجرَ يُلقى من شَفيرِها ما أدرَك لها قَعرًا سبعين خريفًا. رواه مسلم.

شديدةُ الحرّ، ((نارُ الدّنيا جزءٌ واحِد مِن سبعين جزءًا مِن نارِ جَهنّم)) رواه البخاري.

طعامُ أهلِها الزّقّوم من شجرةٍ تخرُج في جهنّم، وتتغذّى بجهنّم، والضّريعُ لا يُسمِن ولا يُغني من جوع، خبيثُ الطّعم، مُرُّ المذاق، شديدُ الحرارَة، ينشَبُ في الحَلق، فلا يستسيغه إلى جوفِه إلاّ بالماءِ البالِغ الحرارة، فإذا وصل إلى الجوف قطَّع الأمعاء.

ومِن شَرابهم المُهلُ والغسّاق وهو الصّديد من القيحِ والدّم، ولباسُهم القطِران والحديد، ولهم ثيابٌ من نارٍ والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج:١٩-٢٢]. عَن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال: (إنّ في النارِ حيّاتٍ كأمثالِ أعناقِ البُخت تنهَش الرّجل، فيجِد حَرَّ سُمِّها سبعينَ خريفًا) رواه أحمد .

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإيّاكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، ونفَعنا بهديِ سيّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفِر الله العظيمَ الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله ذي العزّة والإكرام، والجلالِ والعظمة والعزّة التي لا تُرام، أحمد ربي وأشكره على عظيم الإنعام، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملك القدّوس السلام، وأشهد أن نبيَّنا وسيّدنا محمّدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للأنام، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى تقوَى من يخشاه سرًّا وجهرًا، فما أفلح أحدٌ إلا بتقوَى ربّه، وما خاب أحدٌ إلا باتِّباع الشهوات وتضييع الطاعات.

أيها المسلمون، لقد دعاكم مولاكم إلى جنّاتِ النعيم بتقديم الأعمالِ الصالحات ومجانبة السيّئات فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ۝الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤]، وفي الحديث عن النبيّ ﷺ: ((كلّكُم يدخُل الجنة إلا مَن أبى))، قالوا: ومن يأبى يا رسولَ الله؟! قال: ((من أطاعني دخلَ الجنة، ومن عصاني فقد أبى)).

فلا يركننَّ أحدٌ إلى الدّنيا ونعيمِها، ولا تنسِه الدارَ الآخرة، فما هذه الدنيا إلاّ أضغاثُ أحلام وظِلُّ شجرةٍ ومتاعُ غرور، ما أسرعَ أيامَها في الانقضاء، وفي الحديثِ عن النبيّ ﷺ: ((يؤتَى بأشدِّ الناس في الدنيا بؤسًا ويغمَس في الجنّة فيقال له: يا ابنَ آدم، هل رأيتَ بؤسًا قطّ؟ فيقول: لا والله، ما رأيتُ بؤسًا قطّ، ويؤتى بأشدّ الناس تنعُّمًا في الدنيا ثم يُغمَس في النار، ويقال له: يا ابنَ آدم، هل رأيتَ نعيمًا في الدنيا قطّ؟ فيقول: لا والله، ما رأيتُ نعيمًا قط)) ، لأنّ

الجنّةَ تنسيهِ كلَّ بُؤس، ولأنّ النار تنسي كلَّ نعيم، قال الله تبارَك وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

وإنّما تطلَبُ الجنةُ برضوانِ الله تبارك وتعالى وعبادتِه بما شرَع رسولُ الله ﷺ.

عبادَ الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقد قال ﷺ: ((من صلَّى عليَّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا)).

فصلّوا وسلِّموا على سيّد الأوّلين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد...

انتهى كلام الشيخ ولنا هذا التعليق

صفة النار

صفة النار:

لربما تصـــورت -أخي الكريم- إن نار جهنم في حرها كنار الدنيا التي نعلم، ولكن الأمر ليس كـذلـك فهي أشـــد فيحـاً. وإنما نار الـدنيـا جزء قليـل من جهنم، قـال رســـول اللهﷺ :"ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من جهنم قالوا يا رسول الله وغن كانت لكافية قال:فإنها فضـلت بتسـعة وسـتين جزءاً" [البخاري ومسـلم] بل إن شـدة الحر التي نشكو منها في الدنيا، ونتقيها بما نملك من وسـائل التبريد والتلطيف إنما هي نفس جهنم تتنفسه، كما أن البرد الذي نشـكو زمهريره ورعشـته إنما هو نفس جهنم، قالﷺ:" اشـتكت النار على ربها، فقالت رب أكل بعضي بعضـاً، فأذن لها بنفسـين: نفس في الشـتاء ونفس في الصـيف، فأشـد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير" وقالﷺ:" أبردوا بالصلاة،فإن شدة الحر من فيح جهنم" [البخاري مع الفتح]

قـال كعـب الحبـار: والذي نفس كعب بيده، لو كنت بالمشرـق والنار بالمغرب ثم كشـــف عنها لخروج دماغك من منخريك من شـدة حرها. يا قوم هل لكم بهذا قرار؟ أم لكم على هذا صبر؟ يا قوم طاعة الله أهون عليكم من هذا العذاب فأطيعوه.

أخي: لو لم يكن في النار إلا هذا الحر لكفى به واعظاً ورادعاً عن المعصـية.. فكيف والأمر أشـد وأعظم ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ (المعارج ١٥-١٦)

تشوه لحم الوجه وتنزع جلده فتفقده شكله وتسلبه حسنه، إنها قعر مليئة بالخنادق المكفهرة والجبال الحامية العلية، والحيات والعقارب والمقامع والغلال والأصفاد.. طعامها مرير، وماؤها حار حميم، وكلها ذل ومهانة وخزي وندامة وحسرة تعض منها الأنامل، ويود الكافر فيها لو كان تراباً.﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ۞ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج ١١- ١٤)

فهيء جواباً عندما تسمع الندا
من الله يوم العرض ماذا أجبتم
به رسلي لما أتوكم فمن يكن
أجاب سواهم سوف يخزي ويندم
وخذ من تقى الرحمن أعظم جنة
ليوم به تبدو عياناً جهنم
وينصب ذاك الجسر من فوق متنها
فهاو ومخدوش وناج مسلم

ولا تسـل عن أكلها وشربها وفراشـها ودركاتها فهي جحيم ولظى ونيران لا تفنى أعدها الله لكل جواظ عتل مسـتكبر، إذا ذكر لا يـذكر، وإذا وعظ لم يتعظ، وإذا سـمع آيـات الله اتخذها هزواً ولعباً قال رسـول اللهﷺ:" ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مسـتكبر" [رواه البخاري ومسـلم] وقال:ﷺ" صـنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونسـاء كاسـيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسـهن كأسـنمة البخـت المـائلـة، لا يـدخلن الجنـة ولا يجـدن ريحهـا لتوجد من مسيرة كذا وكذا" [السلسلة الصحيحة]

وقودها ودركاتها :

وقود النار: واحذر -أخي الكريم- أن تلهيك الدنيا ويمينك سرابها فتكون وقوداً لجهنم، فإنما وقودها الناس والحجارة، قال تعالى:﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَـــكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَـاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم ٦) وقال سبحانه:
﴿ فَـاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين﴾ (البقرة ٢٤)

فالناس هم الوقود وهم المعذبون.. فسبحان الخالق القادر.

يقول ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-:" وأكثر المفســرين على أن المراد بـالحجـارة حجـارة الكبريـت توقد بها النار ويقال: إن فيها خمســـة أنواع من العـذاب ليس في غيرهـا: سرعـة الإيقاد وكثرة الـدخـان، وشـــدة الالتصـــاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت" [التخويف من النـار] فـالنار هذه حالها، وهذا شـــكلها، والكفار والفجـار من النـاس وقودهـا، أحق أن تتقى وأحق أن يعمـل لاجتنـابهـا واجتنـاب أهوالهـا،فكـابد -يا عبد الله- فغن الخطب جلل، وازهد في الحرام وابتعد عن الشبهات.

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طـــريق
والليالي متجر الإنسان والأيام سوق

قـال تعـالى:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَـا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً﴾ [الحديد٢٠]

<u>دركات النار:</u>

وكما أن الجنة درجات ومنازل فإن النار دركات مختلفة، بحسب إجرام أهلها، وأعمالهم في الدنيا، قال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ (النساء١٤٥) وهي فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار لغلظ إيذائهم للمؤمنين وغلظ كفرهم ومكرهم.

۞ قال كعب الأحبار:" إن في النار بئراً ما فتحت أبوابها بعد، مغلقة ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به ولا صبر لها عليه الدرك الأسفل من النار" [التذكرة للقرطبي]. وأما أهون الناس عذاباً في النار، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:"إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رحل يوضع على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه" [مسلم]

۞ فتذكر أخي الحبيب: إذا كان هذا حال أهون الناس عذاباً يوم القيامة، فما بال غيره.

فيا أخي:

تذكر يوم تأتي الله فــردا
وقد نصبت موازين القـضاء
وهتكت الستور عن المعاصي
وجاء الذنب منكشف الغطاء

وإن من شـــدة مـا يجـده أهل النار من الأهوال وألوان العذاب يتمنون فـديـة أنفســـهم بكل شيء قال تعالى:﴿ نَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَـاتُوا وَهُمْ كُفَّـارٌ فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْ أَحَـدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَـدَى بِـهِ أُولَئِـكَ لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ وَمَـا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [آل عمران ٩١]

وقال ســبحانه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَـهُ مَعَـهُ لِيَفْتَـدُوا بِـهِ مِنْ عَـذَابِ يَوْمِ الْقِيَـامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المـائدة] وما ذلك إلا لعظم النكال والعذاب في تلك الدركات فلا نصـير ولا منقذ ولا معين، بل إنهم يودون لو يفتدون بأبنائهم الذين من أصلابهم

قال تعالى:

﴿يُبَصَّرُــونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَـدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ

وَفَصِـيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ۞كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞

نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج ١١-١٦]

سلاسلها وأغلالها وشدة حرها:

سـلاسـلها وأغلالها: وأهل النار في عذاب دائم، فقد جعل الله في أعناقهم الأغلال يسحبون منها، فتزيدهم عذاباً على عذاب وخلق لهم سـلاسـل يسـلكون فيها. قال تعالى:﴿ إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر ٧١]، وقال سبحانه:﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَـبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْـلُكُوهُ﴾ [الحاقة ٣٢]. وما أعظم تلك السـلاسـل والأغلال، وتلك المقامع والأصفاد، وما أثقلها على أهل النار. ويا للهوان والذل الذي يجلبه منظر حاملها وسط الجحيم، فإنما قيدهم الله بها إذلالاً لهم لا خشية هربهم كما يقيد السجين في الدنيا.

قـال الحســن:" إن الأغلال لم تجعـل في أعنـاق أهـل النار لأنهم أعجزوا الرب، ولكنهم إن طفـا بهم اللـب أرسـبتهم" [الزهـد للحسـن البصري] فاعمل يا عبد الله امهد لنفسـك، فجسدك لا يطيق حلقة من تلك السـلاسل الغلاظ، ولا يقوى على المكوث في حفرة النار لحظة واحدة، فهو عذاب لا ينفع معه صـبر ولا جلد، ولا مال ولا ولد، ولن ينجيك منه أحد، سـوى ما قدمت من عمل في هذه الأيام

مثل وقوفك يـوم الحشر عريانا

مستطعفا قلق الأحشـــاء حيرانا

النار تزفر من غيـــظ ومن حنق

على العصاة وتلقى الرب غضبان

اقرأ كتابك يا عـبدي على مهل

وانظر ليه ترى هل كان ما كان

شدة حرها:

وأما حر الدنيا فإنه يتقى، فقد مد الله لعباده الظل يقيهم الحر، ورزقهم المـاء يرويهم من العطش، وأوجـد لهم الهواء والريح الكريمة تلطف وتهون من شدة الفيح.
أمـا في جهنم فـإن هـذه الثلاثـة تنقلـب عذاباً على أهلها فالهواء سموم،والظل يحموم والماء حميم.قال تعالى:﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ۞ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۞لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة ٤١-٤٤] وقال سبحانه:﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ۞لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۞إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ
۞كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُـــفْرٌ﴾ [المرســـلات ٣٠-٣٣]. عياذاً بالله من حرها. فشرـرها قطع ضخمة على قد الحصون والقصـور ويشبه الإبل السـود في لونه من شـدة السـواد، أما دخانها فمتشعب إلى ثلاثة وهو يحموم لا ظليل ولا يغني من لهب جهنم الحارق.
فأين صـــبرك يا عبد الله على هذا؟ فهلاً نفســـك من هذا البأس العظيم والخطر الجسيم؟ فها هو النذير ينذر بهذا الشر العظيم. ويخبر عن جهنم كيف تصنع بالعصاة المجرمين.

يا ويلهم تحرق النيران أعظمـــهم
بالموت شهوتهم من شدة الضجر
وكل يوم لهم في طول مدتهـــم
نزع شديد من التعذيب بالسعر

ومن شـــدة حرهـا تلفح الوجوه فتتركها عظاماً لا لحم فيها، قال تعـالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُــونَ ﴾ [الأنبياء٣٩] ومن شـــدة حرها تصهر البطون وما في أحشائها من أمعاء قال تعالى:﴿ هَذَانِ خَصْـمَانِ اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَـبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِـهِمُ الْحَمِيمُ۞يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج ١٩]

فـاتق اللـه يـا عبد الله. واعلم أن الخطب جســيم، وأن الخطر قريب، فالجنة أقرب إليك من شراك نعلك والنار كذلك، كما صح ذلك عن رسول اللهﷺ

فـالبـدار البـدار إلى التوبـة. فـإن جهنم لا نترحم وإن جحيمها لا يخمد. وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

سعة جهنم:

سعتها: والضيق في جهنم إحدى وسائل العذاب التي يصبها الله على الكفار والعصاة.. فالضيق يشمل ظواهرهم وبواطنهم، وكيف لا ونفوسهم أصابها من الهم والغم والحسرة مالا يوصف مما هم فيه من العذاب والنكال.. حر وحميم وسموم ويحموم سلاسل وأصفاد وظلمة وسواد.. وقد اجتمعت عليهم ألوان العذاب وأشكاله فنفوسهم ضيقة ضنكة، وفوق ذلك كله تجدهم محشورين في أضيق الأماكن في جهنم تنكيلاً بهم وزياد لهم في الغم والهم قال تعالى:﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان ١٣] فهم ملقون في أضيق الأماكن،وقد كانوا في الدنيا ينحتون من الجبال القصور فرحين بها، فما أحوجهم يوم القيامة إلى شبر من الأرض يعبدون الله فيه فينجون من ذلك الضيق وذلك العذاب. قال تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ قال أبو عبدة:" أي لفي حبس وضيق شديد" [فتح القدير]. فارحم نفسك يا عبد الله فبل فوات الأوان فأنت تحسب ألف حساب في حيتك حتى لا ترتكب ما يدخلك السجن في الدنيا، وقد تضطر إلى أن تتجاوز عن حقك، مقابل السلامة والحرية والنجاة من ذلك، أفلا يكون احتياطك نم سجن جهنم الرهيب أولى؟ أو قادر أنت على سجينها المظلم الضيف الحميم؟ أو يتحمل جسمك الضعيف أو جلدك اللطيف حر النار ولهيبها وثقل الأغلال وكيها وضيق المكان؟ أخي الكريم:

تنبه قبل الموت إن كنت تعــقل

فعما قريب للمقابر تحمـــل

وتمسي رهيناً في القبور وتنــثني

لدى جدث تحت الثرى تتجندل

فريداً وحــيداً في التراب، وإنما

قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

وجهنم مع ما يحصــل لأهلها من الضــيق، فهي واســعة ضـخمة، يدل على ذلك ما رواه أبو هريرةﷺ قال: كنا مع رســول اللهﷺ، إذ سمع وجبة (أي سقطة) فقال النبيﷺ:" تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورســوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ ســبعين خريفاً، فهو يهوى في النار إلى الآن" [مسلم] وروي أن رسول الله ﷺ قال:" لو أن حجراً مثل ســبع خلفات ألقي من شــفير جهنم هوى فيها ســبعين خريفاً لا يبلغ قعرها" [صــحيح الجامع] ومما يدل على سعة النار وعظمها كثرة الداخلين إليها على ما هم عليه من ضـخامة الجســم وعظم الهيئة، وكذلك قذف الشمس والقمر فيها على ضخامة الشمس وسعة القمر، قال رسول اللهﷺ:

" الشـمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة" [السلسلة الصحيحة]

ولك أن تتصور أخي الكريم ضخامة جهنم وعظمها، فهي واسعة عظيمة، كبيرة مهولة، ومع ذلك يجد فيها المجرمون من الضـــيق ولاحبس ما يعضون عليه الأنامل من ندم التفريط في الدنيا، ولك أن تتصـــور جسرـــها وكيف أنه يكفي لحمل الخلائق كلهم يوم القيامة، فكيف بجهنم نفســـها؟ عن عائشـــة رضي الله عنها أنها سـألت رسـول الله ﷺ عن قوله تعالى:﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَـتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قالت: فأين الناس يومئذ؟قال: على جسرــ جهنم" [الترمذي وقال حسـن صحيح غريب من هذا الوجه وهو صحيح الإســـناد] فأين ما جمعوا في الدنيا وهم على جسرـــها العظيم، ينتظرون نتيجة المصير.

قد نادت الدنيا على نفسها

لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالــعمر أفنيته

وجامع بددت ما يجــمع

قال بعض الحكماء:" الدنيا أمثال تضربها الأيام للنام لا يحتاج إلى ترجمان وبحب الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ"

ومما يدل -أخي الكريم- على ســعة جهنم كثرة الملائكة الذين يأتون بها يوم القيامة. قالﷺ:" يؤتى بجهنم يومئذ لها ســبعون ألف زمام، مع كل زمام ســبعون ألف ملك" [مســلم] وقال الله حـل وعلا:﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِـذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ (الفجر ٢٣) وهـذا ما يدل أخي الكريم: بـادر بـالتوبة إلى الله من آثامك وابك على خطاياك في إقدامك وإحجامك. وقل:

على عظمها وأنها تسع الكفار والمجرمين والعصاة. ولك أن تتصور هذا العدد الهائل من الملائكة وهم يأتون يوم القيامة، وكل ملك لا يعلم عظم قوته وضـخامته وشكله إلا الله. فو الله إنه لمشهد تنكسرـ لـه النفس، يبعـث على الرعـب والخوف، ويجتـث من القلوب حب الدنيا والحرص عليها:

فما هي إلا جيفة مسـتحيلة

عليها كلاب همهن اجتذابها

فأن تجتنبها كنت سلما لأهلها

وإن تجتذبها نازعتك كلابها

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا

واغفر أيا رب ذنبنا قد جنيناه

أمـا عذاب جهنم فإنه ألوان وأشـــكال متعددة. بحســـب تنوع دركاتها وإجرام أهلها وما قدموه من الســـيئات والآثام في الدنيا. قال تعالى:﴿ بَلَى مَنْ كَسَــبَ سَــيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْــحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٨١) وهذه الآية نزلت في الكفار خاصــة فســيئاتهم تحيط بهم ناراً يوم القيامة كما قال تعـالى:﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَـادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَـذَلِـكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف ٤١) ففراشــهم نار ولحافهم نار وقد أحيطوا بالنيران من كل مكان وكبلوا بالســـلاســـل والأغلال وســـقوا ماء فقطع أمعـاءهم فـاللهم رحمتـك نرجو وبـك نســـتعيذ من هذا الخزي وهذا النكال .

۞ أخي الكريم: واعلم أن اللـه جـل وعلا لا يظلم مثقـال ذرة، لـذلك فالمعذبون يختلفون يوم القيامة في العذاب كل بحســـب ذنبه وزلته. قالﷺ:" إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تـأخـذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته" وفي رواية إلى "عنقه" [مســلم]. وقد تقدم أن أهون أهـل النـار عـذابـاً يوم القيـامـة رجـل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه" [مسلم]

۞أخي: لا تحقر ذنباً مهما صـغر فلربما كان مصرعك في احتقاره ولازم وقار الله فإنه التقى:

خل الذنوب صغيـــــرها
وكبيـرها فهو التـــــقى
واصنع كمــــــاش فوق أر
ض الشـــوك يحذر ما يرى
لا تحـــقرن صغيـــرة
إن الجبـــال من الحــصى

ومن عذاب جهنم صـــب الحميم فوق رؤوس أهلها قال تعالى:﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَـــبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِـــهِمُ الْحَمِيمُ۞يُصْـــهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ وحينما يصـب فوقهم ذلك الحميم الشـــديد الحرارة، تنقطع جلودهم وتـذوب، وتتمزق أحشـــاء بطونهم وتصـــهر، فلا صـبر ولا هروب، ولا مخرج ولا نجاة، ولا موت ولا هلاك، وإنما يحيون بعـد ذوبـانهم فيعـادون للعذاب الشـــديد، قالﷺ:" إن الحميم ليصـب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه فيسـلت ما جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصـهر، ثم يعود كما كان" [الترمذي وقال حسـن غريب صحيح، انظر جامع الأصول] ومن أهل النار من تأكله النار إلى فؤاده.
قـال تعـالى:﴿ كَلَّا لَيُنْبَـذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة ٤-٧) كـان ثـابـت البنـاني يقول:" تحرقهم النار إلى الأفئدة وهم أحياء، لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي" [التخويف من النار] ومنهم

من تنـدلق أمعـاءه فيطحن فيهـا، وذلـك الذي يعظ بما لا يتعظ وينصح الناس وينسى نفسه.

۞ فقد ثبت في الصحيحين أن رسول اللهﷺ قال:" يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحـاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شـــأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قـال: كنـت آمركم بـالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه" [البخاري ومســـلم] ومن أهل النار من تلفح النار وجهه، فيلقى فيهـا كما تلقى الســـمكـة في الزيـت الحـار، قـال تعـالى:﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّـارُ وَهُمْ فِيهَـا كَـالِحُونَ﴾ (المؤمنون ١٠٤) وقـال سبحانه:﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم ٥٠) ولـك أن تتصـــور أخي الكريم: حـال وجوههم ولقـد ذهب لحمهـا وبقي عظمها، فيالها من بشـــاعة، ويا له من ألم ومهانة، تتقلب وجوههم في النار وهم ينادون فلا يســمعون ويصرخون ولا يـرحـمون، ويطلبون الموت فـل يجـابون، وحينما تـذوب جلودهم بالنار، يبدلهم الله جلوداً غيرها. لأنها مركز إحسـاسـهم بـالألم، وهـذا فيه آية وإعجاز لمن كان له قلب أو ألقى الســـمع وهو شهيد، فقد ثبت في الطب الحديث أن الجلد مركز الإحساس بـالألم وغيره، وقـد ذكر اللـه جـل وعلا أن أهـل الجحيم حينما تـذوب جـلـودهم وتحترق يخلق لهم جلوداً أخرى ليحســـوا بـالعـذاب من جديد، قال تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَـــوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء ٥٦)

وتصور أخي الحبيب: أن الكافر يوم القيامة يقسم بالله أن لم ير خيراً قط، بمجرد ما تلفحه النار لفحة واحدة، قال رسول اللهﷺ:" يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب" [مسلم] فاستعن بالله يا عبد الله، فإنما الدنيا إلى زوال، وإن نعيمها كالخيال وإنما هي دار ابتلاء وامتحان، واحذر مداخل الشيطان والزم التقى واحذر النفس والهوى فإن هذه الأربعة أسباب التعاسة في الدنيا، والعذاب في الآخرة. قال تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى۞وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(النازعات ٣٧-٤١)

إني بليت بأربع يرميـــــــنني

بالنبل قد نصبوا علي شراكا

إبليس والدنيا والنفـــس والهوى

من أين أرجو بينهن فكاكا

يا رب ساعدني بعـــــفو إنني

أصبحت لا أرجو لهن سواكا

طعام أهل النار وشرابهم:

طعامهم:أهل النار يصيبهم الجوع والعطش، فيطعمهم الله طعاماً يزيدهم عذاباً على عذاب، مما يجدونه من الألم والحر في بطونهم بعد أكله فلا هم يذهبون حرارة الجوع بذلك الطعام، ولا هم يهنؤون، قال تعالى:﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ۞لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (الغاشية ٦-٧) والضريع نوع من الشوك المر النتن، لا ينفع آكله ولا يشبعه ويعرف عند الحجازيين بالشربق. قال قتادة:
"من أضرع الطعام وأشبعه" [التخويف من النار] وكل طعام يأكله أهل النار يجمع عليهم مرارة الطعام وغصته كما قال تعالى:﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً۞)وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ (المزمل ١٢-١٣) والغصة هي التي يعلق بها الطعام في الحلق فلا يسهل عليه دخوله إلى الجوف ولا يسهل خروجه عنه للتخلص منه.
ومن طعام أهل النار صديد الأبدان والقيح، فمن شدة جوعهم وفقدهم للطعام يلتفتون إلى صديدهم فيطعمون منه ولا يستسيغونه. قال تعالى:﴿ وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ
۞ لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾(الحاقة ٣٦) والغسلين و الصديد. وهو أنواع وألوان قال تعالى:﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ۞وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾(ص ٥٧-٥٨)

فتأمل أخي -حفظك الله- في هذا المشـــهد المشـــين، الذي تتقزز النفس من سـماعه، فضـلاً عن رؤيته وانظر إلى هؤلاء البؤساء في مشـهدهم هذا وهم يلعقون الضرـيع والقيح والغسـلين، وألوان العذاب فوق رؤوسـهم وعن أيمانهم وعن شـمائلهم.. إنها الخزي والندامة والحسرة والخسارة.

فيا ساهياً في غمرة الجهل والهوى
صريع الأماني عن قريب ستندم
أفق قد دنا الوقت الذي ليس بعده
سوى جنة أو حر نار تضرم

ويـا قبح طعم مـا يـأكلون، لا تسـتســـيغـه أذواقهم، ولا تقبله ألســـنتهم، ومن شـــدة ما هم فيه من آلم الجوع ومرارة الطعم، يتمنون الموت فلا يموتون، بـل يزدادون عـذابـاً فوق عـذاب قـال تعالى:﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْـقَى مِنْ مَاءٍ صَـدِيدٍ۞يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَـادُ يُسِـــيغُـهُ وَيَـأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِـهِ عَـذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (إبراهيم ١٦-١٧) أمـا فـاكهتهم فإنها من شـجرة الزقوم. وإنها لشـجرة شـنيعة المنظر فظيعة المظهر مرة المـذاق، قـال تعـالى:﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّـــيَاطِينِ ۞فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَـا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ۞ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَـــوْباً مِنْ حَمِيمٍ۞ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (الصـافات ٦٥-٦٨) فأي نكال بعد هذا النكال، واسـمع إلى قول رسول اللهﷺ وهو يصف تلك الشجرة:"لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا،

لأفسـدت على أهل الدنيا معايشـهم، فكيف بمن تكون طعامه" [صحيح الجامع الصغير]

شرابهم: أمـا شراب أهـل النـار فـإنـه الحميم الشـديـد الحرارة، يشربونه من شدة العطش وهم يعملون حرارته وحميمه فيقطع أمعاءهم وأحشاءهم. قال تعالى:

﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَـاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف ٢٨-٢٩) وقال تعالى:﴿ وَسُـقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد ١٥) وقال تعالى:﴿أولئك الذين أبسـلوا بما كسـبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ (الأنعام ٧٠) فاللهم عفوك ورحمتك، فما أشقى هذه الحيـاة، ومـا أتعس أهلهـا. فراشـهم من نـار ولحـافهم من نـار وفـاكهتهم من نـار وطعمهم من نـار، وشرابهم الحميم وظلهم اليحموم.. ولا غياث ولا كريم كلما استغاثوا لأجيبوا:

﴿قَالَ اخْسَـأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ فيا من تعصى ــ الله تصـور نفسـك وأنت في هذه الحال، وقد رميت لهذا المآل وقذف بك في جهنم، أتراك تفـديـك أموالـك، أم تراك ينجيـك جـاهك وأولادك، فتب إلى الله، فقد أوشك الفول وقرب الحساب.

فما هي إلا ساعة وسوف تنقضي
ويدرك غب السير من هو صابر

واعلم أن اللـه يحـب التوابين ويحـب المتطهرين ويفرح بتوبـة عبده ويفرحه بها، ويجزيه عليها خير الجزاء وقل يا رب:

أسأت ولم أحسن وجئتك تائـــــباً
وأني لعـــبد عن مواليه يهرب
يؤمل غفراناً فإن خـــــــاب ظنه
فما أحد منه على الأرض أخيب

❁ قـال تعـالى:﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَـيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ (الطلاق ٥) فيا عبد الله اسـتعن بالله ولا تعجز، وسر على درب قافلة النجاة، اســتمســك بكتاب الله وســـنة رســـول اللهﷺ، والصـــحابة من بعده ولازم التوبة والاســتغفار فإنها حلية الصــالحين ومنار الأنبياء والمرســلين قال تعـالى مخـاطبـاً عبـاده المؤمنين:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّـهِ جَمِيعـاً أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور ٣١) وتأمل كيف علق فلاحهم -وهم المؤمنون- على التوبة ليعلم كل مؤمن أن الخير في ملازمته لهذه العبادة الجليلة:

أستغفر الله مما يعلـــم الله

إن الشــقي لمن يحرم الله

ما أحلم الله عمن لا يراقــبه

كل مســيء ولكن يحلم الله

فاستغفر الله مما كان من زلل

طوبى لمن كف عما يكره الله

طوبى لمن حسنت منه سريرته

طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

حزنتها وهيئة أهلها:

خزنتها: قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم٦) فخزنة جهنم موصوفون بالغلظة والشدة لما لمناسبة هاتين الصفتين لمكان العذاب، فهم غلاظ على الكفار شداد عليهم، فلا يغلبون ولا يقهرون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد ذكر الله جل وعلا عدتهم فتنة للمنافقين والكفار فقال سبحانه:﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ۞ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ۞ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ۞ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (المدثر٢٦-٣٠) وقد افتتن المنافقون بذلك فظنوا أنهم قادرون على هذا العدد القليل، فأعقب الله جل وعلا الآية بقوله:﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المدثر٣١)

هيئه أهل النار:

وأما هيئة أهل النار فإنها عظيمة هائلة، جسد الواحد منهم مثل عدد من جبال الدنيا الكبيرة العالية، ولا تسـل عن ضروسـهم ورؤوسـهم وجلودهم فهي من العظمة ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وما ذاك إلا ليذوقوا العذاب في أعلى صوره وأنكى شدائده، فإنه كلما تضخم جسمهم كلما قوي العذاب في جنباتهم، فعظم أجسادهم نوع من العذاب قال ﷺ:" ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع" [مسلم] وقال ﷺ:" ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث" [مسلم] فتأمل يا عبد الله.. في قدرة الله وحكمته، كيف ضخم أجسام الكفار نكاية بهم وزيادة لهم في الشقاء والعذاب وتصور إذا كان ضرس الكافر مثل جبل أحد فكيف سيكون شكله وهيئته وجسمه، إن العقل يعجز عن تصور هذا الشكل الرهيب العظيم. إنما عظم الله أجسامهم لأنها وقود النار بها تتسعر وتتقد، نسأل الله السلامة والعافية. قال ﷺ:
" ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذه" [السلسلة الصحيحة] فلك أن تقارن -أخي الكريم- بين هيئة أهل الجنة وما هم فيه من النعيم وهم شباب لا يهرمون يتنعمون ولا يبأسون.. وبين هيئة أهل النار وكيف أنها وبال عليهم وحسرة وزيادة في النكال.

أتأمن بالنفس النفيسة ربهـــا

وليس لها في الخلق كلهم ثمـــن

بها تملك الأخرى فإن أنا بعتـها

بشيء من الدنيا فذاك هو الغــبن

لأن ذهبت نفسي بدنيا أصيبـها

لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

لباس أهل النار:

وكما في النـار طعام وشراب وفراش ففيها أيضـــاً اللباس، وليس اللبـاس لوقـايتهم من الحر وإنمـا هو زيادة في العذاب وتنوع في النكـال. قـال تعـالى: ﴿فَـالَّـذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَـــبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِـــهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ فهي ثيـاب من نار. كان إبراهيم التيمي إذا تلا هـذه الآية يقول:*سـبحان من خلق من النار ثياباً* [التخويف من النار] فهي لباس مقطعة تزيد لابســها عـذابـاً ونكـالاً وألماً. قال تعالى:﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ۞ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٤٩،٥٠) والقطران هو النحاس المذاب. فالبس أخي لباس التقوى يقيك من حر يوم القيامة وينافح عنك وينافح عنك لهيب جهنم، فإنه أسلم لك وأجدى وأنفع من لباس الإجرام والفسوق والمعاصي إذ هو مذلة الدنيا، حسرة يوم القيامة، فانظر كيف ألبسـهم الله يوم القيامة ثياباً مقطعة حامية، لما لبسـوا في الدنيا لباس الكبائر والفواحش والفجور، قال تعالى:﴿ لِبَاساً يُوَارِي سَـوءاتِكُمْ وَرِيشـاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ (لأعراف:٢٦) وممن يلبسـون تلـك الثيـاب النـائحات. قال ﷺ:" النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقـام يوم القيـامـة، وعليهـا سربال من قطران ودرع من جرب " [مسلم] .

وأهـل النـار يعـذبون ظاهراً وباطناً فهم مع عذابهم الجســـدي، يتعذبون بالحسرـــة والندامة على كفرهم وأعمالهم. قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَـذَابَ وَقُضِيَـ بَيْنَهُمْ بِـالْقِسْــطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس:٥٤) وتزداد نـدامتهم إذ يتبرأ منهم الشــيطـان الـذي أغواهم. قال تعالى:﴿ فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِــخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم:٢٢) .

بـل يصرـخون بنـدامتهم واعترافهم بـذنبهم وقلـة عقلهم، قـال تعالى:﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك:١١) ويتمنون لو أن كـانوا ترابـاً من شـــدة نـدمهم. قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَـا قَـدَّمَـتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ (النبـأ:٤٠) وتـارة يلوم بعضـــهم بعضـــاً. قال تعالى:﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَـالُو النَّارِ۞ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبـاً بِكُمْ أَنْتُمْ قَـدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ۞قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾ (ص:٥٩-٦١)

ويزدادون حسرـة إذ يلومهم المؤمنون ويوبخونهم:﴿ وَنَـادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُـوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّـهُ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ۞الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَـاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآياتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف:٥٠-٥١)

وتكتمـل حسرـتهم إذ يوبخهم الملائكـة. قـال تعالى:﴿ وَنَادَوْا يَا مَـالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ۞لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف:٧٧-٧٨) .
فتذكر أخي الكريم هذه المشـاهد المرعبة.... واعمل لنفسـك أن تنجو من عذاب الله فإن عذاب الله شـديد، وإن انتقامه عزيز. ولا حول ولا قوة إلا الله.

كيف نتقي النار:

وأما كيف نتقي النار-فمن أجل هذا أنزل الله الكتب وبعث الأنبياء والرسل. فهو موضوع عظيم وجليل يتضمن لب الشريعة ومقصودها، ومن أجل ذلك فرض الله الجهاد والقنال، والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحبسة. فتقوى النار ليس بالأمر الهين إنها فريق النجاة من جهنم التي سبق الكلام عنها وعن أحوالها وأحوال أهلها وما يلاقونه فيها من ألوان العذاب وحميم الشراب والثياب.

۞أخي الكريم: اعلم أن النجاة كل النجاة، في الاستقامة على أمر الله بمراد الله لوجه الله، ولن يأتي لك العلم بذلك إلا إذا فقهت أنك في دار ابتلاء وامتحان، وأن الله جل وعلا هو الذي يمتحنك في الدنيا والشيطان والنفس الأمارة والهوى، فقد أنزل وحيه على رسوله ﷺوأمرك باتباعه ثم أمرك باتباعه ثم أمرك بالإخلاص في ذلك، وجعل اتباعك و'خلصك علامة نجاحك ونجاتك قال تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك:٢) وإحسان العمل إنما يكون بالاتباع لرسول الله ﷺ والإخلاص لله سبحانه.

فـالزم أخي الكريم، هـذين الركنين العظيمين فـإن عليهما مـدار النجاة والفلاح، وإياك والخروج عن جماعة المسـلمين أهل السنة والجماعـة،فـإنـه الزيغ بعينـه والهلاك بـذاته. قالﷺ:"ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب اقترفوا على اثنين وسـبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة" [السلسلة الصحيحة الحديث رقم ٢٠٤] فـالزم جماعة المســـلمين، وامض على درب النبي ﷺ وصـــحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

فكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف

قـال تعـالى:﴿ قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران:٣١) وقال سـبحانه مخاطباً رسول الله ﷺ والصـــحابـة:﴿ إِنَّـهُ مَنْ يُشْرِـكْ بِـاللَّـهِ فَقَـدْ حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ الْجَنَّـةَ ﴾(المائدة:٧٢) وأن التوحيد والإيمان هو النجاة وإنما يوحد اللهَ من يعرفه ويعرف أسماءه وصفاته قال تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْـــتَغْفِرْ لِذَنْبِك﴾ (محمد:١٩) فالشرـك موجب لحبوط الأعمال، موجـب للخلود في النار. نســـأل الله الســـلامة والعافية.

واجتنب كبائر الذنوب فإنها مهلكة للعبد مسببة لدخول النار، فالحسد والكذب والخيانة والظلم والفواحش والغدر وقطيعة الرحم والبخل وترك الفرائض والرياء والسمعة وعقوق الوالدين وشهادة الزور وغيرها من الكبائر موجب لدخول النار والعياذ بالله.

۞ فاجتنب أخي الكريم هذه الكبائر، واستعن بالله في الصالحات من العمال وأولها أداء ما افترض الله عليك فإن الله جل وعلا يحب التقرب إليه بما افترضه على عبده أولاً ثم بالنوافل والقربات ثانياً وأهم الفرائض الصلاة فإنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله. قال رسول الله ﷺ:" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر" ووصيتي لك أخي الحبيب: إذا أردت النجاة من النار أن تجعل بينك وبينها حجاب التقوى فإنه خير دليل إلى الجنة قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (النساء:١٣١) وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه. فهو سبحانه أحق أن يُخشى وأحق أن يُهاب قال تعالى:﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (المدثر:٥٦) فقدم لنفسك يا عبد الله وأقبل على ربك بالطاعات والقربات، فقد أنذر النذير وأوشك الرحيل.

۞ واعلم بـأن تقوى الله تحفظ العبد في الدنيا قبل الآخرة. كما جرى لسـفينة مولى النبي ﷺ حيث كسرـ به المركب وخرج إلى الجزيرة، فرأى الأسـد فجعل يمشيـ معه حتى دله على الطريق، فلما أوقفـه عليهـا جعـل يهمهم كأنه يودعه ثم رجع عنه. [انظر جامع العلوم الحكم لابن رجب]
فتـأمـل يـا عبـد الله في فضـل التقوى على العبد في الدنيا كيف تكون سـبباً لسـلامته، واعلم بأنه سـلامة ونجاة في الآخرة كذلك. فهي جماع الأمر وخلاصـته، إذ بها تحصـل مراقبة الله في السرـ والعلن ولذلك قال عمر بن عبد العزيز، ليس تقوى الله بصـيام النهـار ولا بقيـام الليـل والتخليط فيما بين ذلـك،ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء م افترضـه الله فمن رزقه بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير" [جامع العلوم والحكم]

أخي الكريم:

فاســـلك طريق المتقـــ

ـــين وظن خير بالكريم

واذكـــــر وقوفك خائفاً

والنـــاس في أمر عظيم

إمــــا إلى دار الشـــقا

وة أو إلى العز إلى العـــــز المقــيم

وفقنا الله وإياك لتقوى الله والوقاية من عذابه وصـــلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كيف يغفر لك أربعين مرَّة ؟!

نعم ، كما قرأت !

تغفر لـك السـيئات وتُمحى عنك الأوزار ، ليسـت مرَّة واحـدة ، ولا مرَّتـان ، ولا ثلاث ، ولا أربع ... بـل أربعون مرَّة !

فمن منا لا يطمع في هذا الفضل ؟!

إنها عطية ربانية ، ومنحة إلهية ، يمتن بها ـــ سـبحانه ـ على من يشـاء من عباده ، وخصـوصـاً مع كثرة سـيئاتنا ووفرة أوزارنا ، وإنه لعسـير إلا على من يسَّره الله عليه ، بل هو يسـيرٌ .. يسـير ، ولكن من يسـعى فيه أو يحرص عليه ؟

فبماذا نـدرك هذا العطاء من ربِّ الأرض والسـماء ، فلا يغفر الذنوب ، ولا يستر العيوب إلا الله تعالى .

فإليك الطريقة ؛ فعن أبي رافع ـــ ﵁ـــ قال : قال رسول الله ـ ﷺ :" من غسَّل مسلماً ، فكتم عليه ، غفر الله له أربعين مرَّة ، ومن حفر لـه فـأجنَّـه أجرى عليـه كـأجر مسـكن أسـكنه إياه إلى يوم القيامة ، ومن كفنه كسـاه اللـه يوم القيـامـة من سـنـدس واسـتبرق الجنـة " (أخرجه الحاكم والبيهقي ، انظر : أحكام الجنائز ، للألباني ـــ ص (٥١) رقم (٣٠) . فبتغسـيل الميت غُسـلاً موافقاً للسـنة ، تدرك هذا الفضل ، ولذلك شروط ، منها :

١ ـــــ الإخلاص لله تعالى ، فلا يرجو بغســله إلا الأجر والثواب من ربه تعالى ، فإنما الأعمال بالنيات .

٢ ـــ الموافقة للسـنة في تغسـيل الميت ، ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

٣ ـ أن يكتم عليه ، فلا يخبر عن تغير بدنه أو ما ظهر عليه من علامات السوء في جسده أو لونه أو صورته ، ومن ستر مسلماً ستره الله .

فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :" من غسل ميتاً فستره ، ستره الله من الذنوب ، ومن كفَّنه كساه الله من السندس "

(أخرجه الطبراني في الكبير ، انظر : السلسلة الصحيحة ٤٦٧/٥ ــ ٢٣٥٣) **فبادر بتعلُّم تغسيل الميت من العلماء العاملين والدعاة المخلصين ، وبادر إلى تغسيل الموتى ، لتغسل قلبك من غفلته ، ثم تغسل صحيفتك من الأوزار ، ثم تدرك هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي أسبغه الله على من أطاعه بهذه القربى .**

بادر بتغسيل الموتى ، قبل أن تموت فيغسلك الأحياء ، وما عند الله خير وأبقى .

فهرس